الإبدال

لغة: هو((جعل شيء مكان شيء آخر)) [١]، ويقوم على ((أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة، وأن الغاية منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة)) [٢].واهتم العلماء العرب بالإبدال بوصفه ظاهرة من الظواهر الشائعة،وألفوا فيه مؤلفات (*) .

وحصل اختلاف بين القدماء في اشتراط تقارب المخارج والصفات في تحقيق الإبدال.وكان المبرد(٢٨٥هـ) من السابقين إلى القول في تقارب المخارج في كتابه (الكامل في اللغة والأدب)،وابن جني في (سر صناعة الإعراب)،وابن سيده في(المخصص)،والذين لم يشترطوا ذلك التقارب ابن السكيت،وأبو الطيب اللغوي(٣٥١هـ)،وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي،وغيرهم[٣].

إن تعليل الجدل بين اللغويين في اشتراط التقارب، أو عدمه أن المضيقين للإبدال بذلك الشرط يريدون((الاتحاد أو التقارب في المخرج،وهو مكان اعتراض الهواء بعد خروجه من الرئتين،فهذا المكان هو النقطة التي يتكون عندها الصوت))[٤]،أما الذين لم يشترطوا ذلك الشرط فقد توسعوا في الإبدال، فنظروا إلى الصوامت ((ذات طبيعة

---

(١) لسان العرب : (بدل).

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية:١٦٨.

(*) ممن كتب بالإبدال :الأصمعي، وابن السكيت، وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، وأبو الطيب اللغوي.

(٣) الإبدال (أبو الطيب اللغوي) مقدمة عز الدين التنوخي:١/١١،١٨.

(٤) المنهج الصوتي للبنية العربية :١٦٨.

مشتركة،ناتجة من أنها جميعا تنشأ من اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم،...يمكن التبادل بينها)) [1].

وبذلك تكون نظرة الفريق الأول للصـــوامت، في أنها تحقق تقاربا خاصـــا في الانطلاق والولادة الواحدة، ومن هذا يمكن أن تتبادل فيما بينها،فمثاله: مدهته يريد مدحته ،أرقت وهرقت،فالتقارب واضـــح في المخارج الصـوتية بين الهاء الحنجري والحاء الحلقي، والهمزة والهاء من مخرج صـــوتي واحد،هو الحنجرة. وأما الفريق الآخر الذي لم يشـــترط ، نظر إلى الصوامت نظرة شمولية، في أن كل صوت يمكن أن يحل محل صـــوت آخر،فنســـميه تقاربا عاما،نحو: يجوس ويحوس بمعنى يدوس،فالإبدال حصل وفيه تباعد في المخرج والصفة بين الجيم الشجري المجهور،والحاء الحلقي المهموس[2].

والإبدال على ضربين[3]:

أولاً: بدل حرف من حرف لأجل الإدغام، كقراءة بعضـهم (يَصّـلِحا) بفتح الياء وتشديد الصاد، يريد يصطلحا[4] ،فاصلها (اصطلحا) أبدلت الطاء صادا ثم حدث الإدغام، في قوله سبحانه ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ النساء١٢٨.

ثانياً: بدل حرف من حرف لغير الإدغام، وهو على ثلاثة أنواع:

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية :١٦٨.

(٢) الانسجام الصوتي في النص القرآني:٥٥.

(٣) اللهجات العربية في التراث:١/٣٤٧-٣٤٨.

(٤) سر صناعة الإعراب:١/٢١٨،الحجة في القراءات السبع:١٢٦.

١- الإبدال النادر الواقع في ستة أحرف (ح،خ،ع،ق،ض،ذ). من ذلك: أخن في أغن،وتلعذم في تلعثم .

٢- الإبدال القياسي الشائع الضروري في التصريف، ويقع في تسعة أحرف، تجمع في عبارة (هَدَأتُ مُوطيا) [١].

٣- الإبدال السماعي الشائع، بأن تختص به قبيلة معينة، كالعنعنة، والعجعجة،والفحفحة وغيرها[٢].

وهناك فرق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي ، فالأول هو((أن تقيم مكان حروف معينة،حروفا أخرى،بغية تيسير اللفظ وتسهيله،أو الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع استعمالها،كإبدال الواو ألفا في نحو(صام)،(أصلها صوم)،أو كإبدال الطاء من التاء في (اصطنع) وأصلها اصتنع)) [٣]،واختلف النحاة في عدد حروفه،فعند بعضهم تسعة أحرف،أو أحد عشر،أو اثنا عشر،أو أربعة عشر وغير ذلك[٤] . والإبدال اللغوي أعم من الإبدال الصرفي وأشمل ؛ لأن اللغة حين استقرت وجمعت نصوصها لم يقتصر الإبدال على ما سنَّه الصرفيون، ففي الصرف هناك حروف معينة يقع فيها الإبدال، فالإبدال اللغوي شمل ظواهر حدث فيها إبدال حرف من حرف، من غير أن يتماثلا أو يتقاربا في الصفة أو المخرج[٥].

---

(١) شذا العرف في فن الصرف:٢٠٠.

(٢) اللهجات العربية في التراث:٣٤٨/١.

(٣) فقه اللغة العربية وخصائصها:٢٠٥-٢٠٦.

(٤) شرح المفصل:٧/١٠-٨، فقه اللغة العربية وخصائصها:٢٠٦.

(٥) دراسات في فقه اللغة :٢١٦.

ومن أمثلة الإبدال: رجل مسهب العقل ومسهم أي ذهب عقله، ثوب مهرود ومهروت بمعنى الثوب المصبوغ، قُتّر على الرجل رزقه وقُدّر أي ضُيّق رزقه، رجل قتّات وقسّاس إذا كان نماماً ،وفي الحديث ((لا يدخل الجنة قتّات)) (١).

وهناك علاقات عدة بين الحروف دعت إلى ظاهرة الإبدال(٢):

١- التماثل، وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفة، كالباءين،والتاءين،والثاءين.

٢- التجانس: أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفةً :كالدال، والطاء،فهما من الأصوات الأسنانية اللثوية،والأول مجهور والثاني مهموس.

٣- التقارب يحدث فيما يأتي:

أ- أن يتقارب الحرفان مخرجاً ويتحدا صفة :كالحاء والهاء، فالأول حلقي، والثاني حنجري، وهما مهموسان.

ب- أن يتقارب الحرفان مخرجاً وصفة: كاللام والراء فهما من الأصوات اللثوية وهما مجهوران.

ج- أن يتقارب الحرفان مخرجاً، ويتباعدا صفة كالدال والسين، وهما من الأصوات الأسنانية اللثوية، والأول مجهور، والثاني مهموس.

د- أن يتقارب الحرفان صفة ويتباعدا مخرجاً كالشين والسين، فهما مهموسان، والأول غاري، والثاني أسناني لثوي.

٤- التباعد ويحصل في ما يأتي:

---

(١) صحيح البخاري (باب ما يكره من النميمة):٥/٢٢٥٠.

(٢) الاشتقاق (عبد الله أمين)٣٥٢.

أ- أن يتباعد الحرفان مخرجاً ويتحدا صفة، كالنون والميم، فالأول لثوي، والثاني شفوي، والفرق بينهما ثلاثة مخارج، وهما مجهوران ومن أصوات الغُنَّة.

ب- أن يتباعد الحرفان مخرجاً وصفةً: كالميم والضاد فالأول شفوي، والثاني أسناني لثوي، فالميم صوت انفتاح ، والضاد صوت إطباق قوي انفجاري.

ولو ((تتبعنا مسوغات الإبدال في حروف المعجم العربي على ترتيبها لوجدنا علاقة التقارب أكثر بين تلك المسوغات. أما التجانس والتباعد فقليلان نادران)) [1]، فمثال التقارب بين الحاء والخاء الطحرور والطخرور للساحبة، ومثال التجانس بين الدال والتاء قرد الإثمد وقرت الدم إذا جمدا، والمباعدة بين الدال واللام نحو (معده ومعلة) إذا اختلسه[2].

(١) دراسات في فقه اللغة:٢١٩-٢٢٠.

(٢) نفسه:٢٢٣.